٤

انتصر العلم المزيف لأننا خلطنا بين الدين الثابت والعلم المتغير فخرج لنا هذا الكوكتيل.

العلم والدين

يحلو للبعض النظر إلى القضايا العلمية بمنظار الدين وتأخذهم النشوة، حين يستطيعون جر العلم من المعمل إلى المسجد ويبدأون فى محاسبته بالنصوص الفقهية بدلاً من المعادلات الرياضية، وينسون فى غمرة هذا الحساب أن منهج العلم مختلف عن منهج الدين، وهذا لا يعيب كليهما ولا يعنى بالضرورة أن النقص كامن فى أحدهما، فالمقارنة لا محل لها ومحاولة صنع الأربيسك «العلمدينى» بتعشيق هذا فى ذاك محاولة محكوم عليها بالفشل مقدماً، فالعلم هو تساؤل دائم، أما الدين فيقين ثابت، العلم لا يعرف إلا علامات الاستفهام، والدين لا يمنح إلا نقاط الاجابة، كلمة السر فى العلم هى القلق أما فى الدين فهى الاطمئنان، هذا يشك وذاك يحسم.

كل القضايا العلمية المعلقة، والتى تنتظر الإجابات الشرعية، لن تجد هذه الاجابات لسبب بسيط هو أن من عرضوها

منتظرين الاجابة، قد ضلوا الطريق فالإجابة تحت ميكروسكوب العالم وليست تحت عمامة الفقيه، ولنحاول أن نقوم برحلة عبر أحراش هذه العلاقة المعقدة، ما بين العلم والفقه، وأن نطل سريعا على عينة من هذه القضايا حتى نعرف كم هو مختلف منهج العلم عن منهج الدين، ولنعرف أيضاً أننا كثيراً ما نطرق الباب ونظل منتظرين أن يجيب علينا أحد ويفتح لنا الباب، ولكننا فى النهاية نفاجأ بأننا قد طرقنا الباب الخطأ فى الوقت الخطأ.

تقتضى الأمانة العلمية أن نعرض للقطات سريعة من تاريخ هذه العلاقة فى الغرب، والتى حسمت هناك منذ وقت طويل باقتناع الفريقين بأن لكل منهما مجاله، فالقسيس هناك حدوده جدران الكنيسة لا يفتى فى العلم، والعالم هناك لا حدود لطموحه وليس مطلوبا منه منح صكوك الغفران، ومرجعنا السريع فى علاقة الدين بالعلم فى الغرب، هو الكتاب القيم والذى صدر منذ عدة أشهر عن دار الهلال، وهو من تأليف الفيلسوف «برتراند راسل» وترجمة د. رمسيس عوض تحت عنوان»الدين والعلم»، وفيه يعرض المؤلف لبعض المعارك، التى اشتعلت بين رجال الدين والعلم، والتى للأسف فى معظم الأحيان راح ضحيتها علماء قتلوا او أحرقوا او أجبروا على التوبة، ولكن كان ولابد من هذا الثمن حتى تتطور الحضارة، وأعتقد أن سبب تقدمهم وتأخرنا فى هذا المجال، هو أننا لم ندفع ثمن العبور من بوابة الحضارة حتى هذه اللحظة.

الصراع بين الكتاب المقدس والعلم الحديث فى الغرب كان صراعاً محتدماً بين مرجعية النصوص وقوة ودقة الملاحظة والمشاهدة والتجربة، وأولى لقطات هذا الصراع هو نظرية دوران الأرض، وأول أبطاله هو كوبرنيكوس والذى قال عنه لوثر «إنه نصاب يحاول أن يبين أن الارض، هى التى تدور وليس السماوات أو الشمس والقمر»، وكان مصدر هذه التهمة هو الاستناد إلى بعض آيات الكتاب المقدس مثل الآية، التى تخبرنا بأن يوشح أمر الشمس وليس الأرض أن تقف فى مكانها، والآية رقم ١ من المزمور ٩٣ والتى تقول: «أيضا تثبتت المسكونة لا تتزعزع»، أما المصدر الخفى والحقيقى، هو خوف القساوسة والكهنة وغضبهم من أن إقصاء كوكب الأرض عن وضعه المركزى سيقصى الإنسان هو الآخر عن وضعه المميز فى الكون.

البطل الثانى فهو جاليليو، وتلسكوبه الذى جر عليه المتاعب وأضاف أربعة أجرام سماوية أخرى فوق السبعة، الذين آمن بهم القدماء فحدث الانزعاج والرفض؛ لأن هذا لا يستقيم مع إشارات الكتاب المقدس، لأن الاجرام السبعة هى الشمعدانات السبعة، التى تحدث عنها سفر الرؤية، وكانت نتيجة هذا الهجوم ترقية قسيس دومنيكانى، بسبب موعظة ألقاها حول نص الكتاب المقدس القائل: «وأنتم يا سكان الجليل لماذا تقفون محملقين فى السماء؟»، ذهب منها إلى أن الهندسة رجس من الشيطان، وأنه ينبغى إستبعاد علماء الرياضة باعتبارهم مؤلفى كل الهرطقات ...، وقد دخل علماء الجيولوجيا والاحياء فى جدل عنيف مع رجال

اللاهوت حول قصة سفينة نوح، وأتى استنبط منها اللاهوتيون أن كل الحيوانات الموجودة حالياً تنتمى إلى أنواع تمثلت فى الحياة فى سفينة نوح، وبذلك، فالأنواع ثابتة لا يطرأ عليها التغيير أو التبديل، وكان أى شك فى ذلك خاصة من علماء البيولوجيا المؤمنين بالتطور كفيلاً بإلصاق تهمة الكفر، وجاء اكتشاف امريكا ليحير اللاهوتيين فأمريكا كانت أبعد ما تكون عن الجبل، الذى وجدت عليه سفينة نوح، ومع ذلك فقد عثر فيها على حيوانات كثيرة، ليس لها وجود فى الأماكن التى تحتل مركزاً وسطاً، فكيف استطاعت هذه الحيوانات السفر إلى هذه الأماكن النائية؟!، وتلقى داروين معظم الهجوم حتى أنه وصف من قبل المتعصبين من رجال الدين بأنه الرسول الذى يدعو إلى عبادة القذارة» ...

بعد الفلك والجيولوجيا جاء الصراع مع علم الطب، والذى كان أكثر احتداما وعنفاً، ففلسفة المرض عند رجال الدين القدامى، هو أنه عقاب من الله، وقد ذهب القديس أو غسطين إلى أن جميع أمراض المسيحيين ترجع إلى الشياطين وكان للقديسين منزلة كبيرة فى جلب الشفاء فعلى سبيل المثال، نجد أن الناس ظلوا لقرون كثيرة يعتقدون فى قدرة عظام القديسه روزاليا المحفوظة فى بليرمو بإيطاليا على شفاء الأمراض، ولكن عندما قام عالم تشريح دنيوى بفحص هذه العظام اكتشف أنها بقايا عظام ماعز!! وقد أفلت هذا العالم لحسن الحظ من الحظر الذى كان قد أجرى على علم التشريح والذى اعتبره القساوسة مانعاً ضد بعث الأجسام من الموت، وامتدت الخزعبلات من الأمراض

الجسمية إلى الأمراض النفسية، والتى ارتبطت بالسحر اعتمادا على الآية ١٨ فى إصحاح ٢٢ من سفر الخروج والتى تقول: «ولا تدع ساحرة تعيش»، ومن الأشياء الطريفة فى تاريخ هذه المحظورات، والتى تجعلنا نقول ما أشبه اليوم بالبارحة، وما أشبه أقوال القساوسة القدامى بأقوال الشعراوى الحالية، والذين قالوا ما يشبه قوله عن غسيل الكلى، إنه تأجيل لمشيئة الله، فقد وقفوا ضد تلقيح الجدوى لدرجة قيام قسيس إنجليكانى بنشر موعظة، جاء فيها أن قروح أيوب ترجع دون شك إلى أن الشيطان قام بتلقيحه، واشترك كثير من قساوسة اسكتلندا فى إعداد بيان جاء فيه أن التلقيح يعتبر «محاولة لإصابة حكم الله وتقديره بالارتباك»، وقال أحد القساوسة عن مرض الجدرى: «إذا كنا قد ابتلينا بمرض الجدرى، فإن ذلك يرجع إلى ما مارسناه من عربدة فى الشتاء الماضى، فقد انغمسنا فى شهوات الجسد لدرجة أثارت غضب الله» !!.. وحتى التخدير واكتشافه، الذى انقذ البشرية من الآلم وأتاح الفرصة لأعقد العمليات الجراحية أن تجرى فى أمان كامل، حتى هذا الاكتشاف لم ينج من تدخل رجال الدين، الذين اعترضوا حين حاول أحد الأطباء سنة ١٨٤٧ أن يستخدم التخدير فى حالات الولادة، وذكروا الآية ١٦ فى الإصحاح الثالث من سفر التكوين، والتى تقول: «بالوجع تلدين أولادك»..

قصدت أن أذكر بعضاً من الصراع بين رجال العلم ورجال الدين فى الغرب، كى أؤكد بأن الخلاف بينهما هنا فى الشرق، لا يرجع إلى طبيعة كامنة فى عقلنا الشرقى أو

فـى ديننـا الاسـلامى، ولكـن الخـلاف يرجـع إلـى مـا قلتـه سـابقا عـن الاختـلاف بيـن طبيعـة العلـم وطبيعـة الديـن، وبـأن أى خلـط متعسـف يـؤدى بالقطـع إلـى مثـل هـذه المعـارك، التـى تؤخـر وتعـوق مسـيرة التقـدم ...* والآن ندخـل علـى المعـارك، وهـى كثيـرة فـى مجتمعنـا الإسـلامى، ولنبـدأ بعلـم الفلـك والـذى يتحكـم فـى كثيـر مـن طقوسـنا الدينيـة كمواقيـت الصـلاة وصـوم رمضـان ورؤيـة هـلال بدايـة الشـهور الهجريـة ... ... إلـخ، وكلنـا يعـرف ويتوقـع وهـا هـو رمضـان الماضـى، قـد أنذرنـا بـأن مشـكلة تحديـد بدايـة الشـهر، لـم ولـن تحسـم، هـل هـى برؤيـة العيـن أم بحسـاب العلـم الفلكـى؟ وتظـل البـلاد الإسـلامية أسـيرة التخبـط والانقسـام.

الحمـد لله أمتنـا لا ينقصهـا الانقسـام، فهـى منقسـمة أصـلاً سياسـياً واقتصاديـاً، ولكـن الانقسـام الدينـى يأتـى ليكمل الحلقـة، ولكن المفاجـأة أن مـا نتحـدث عنـه مـن تحديـد لبدايـة الشـهور الهجريـة، هو تـرف شـديد وأمنيـة حالمـة بـل ومسـتحيلة، لأنـه لابـد مـن أن نعـرف أنـه يوجـد مـن لا يعترفـون ببديهيـة علـم الفلـك الأساسـية مـن أصلـه، وهـى أن الارض تـدور حـول الشـمس، والتـى أثبتهـا كوبرنيكـوس وحوكـم مـن أجلهـا جاليليـو، حتـى أصبحـت مـن أساسـيات المعرفـة الإنسـانية ككل وليـس علـم الفلـك فقـط، ولنقـرأ سـويًا فتـوى الشـيخ الإمـام عبـد العزيـز بـاز حتـى نحكـم بأنفسـنا.. يقـول الشـيخ الامـام عبـد العزيـز بـن بـاز، الرئيـس العـام لإدارات البحـوث العلميـة والافتـاء والدعـوة والإرشـاد فـى المملكـة العربيـة السـعودية فـى عـام ١٩٧٦: «القـول بـأن الشـمس ثابتـة وأن الأرض دائـرة، هـو قـول

شنيع ومنكر، ومن قال بدوران الأرض وعدم جريان الشمس، فقد كفر وضل، ويجب أن يستتاب وإلا قتل كافراً ومرتداً، ويكون ماله فيئاً لبيت مال المسلمين»، ونأتى هنا إلى مسألة المنهج، التى تحدثنا عنها فى السابق، ونسأل إلى ماذا استند الشيخ بن باز فى فتواه.. هل استند إلى رأى أهل العلم وهم فى هذه الحالة علماء الفلك؟.. والواقع لا، فهؤلاء العلماء كفره، ولكنه استند إلى القرآن الكريم والأحاديث وكتب السلف الصالح، وهذا المنهج، الذى يلوى عنق النصوص لاستخراج الحقائق العلمية طالما هاجمه الكثيرون، حتى من بين علماء الدين أنفسهم، ولنراجع هجوم الدكتورة بنت شاطئ على التفسير العلمى للقرآن للدكتور مصطفى محمود، أما عن هذه الأدلة التى قدمها ابن باز فيما بعد سنة ١٩٨٢ فقد كانت كالتالى: «أولاً الدلالة على جريان الشمس والقمر، فقد استند ابن باز إلى بعض الآيات القرآنية مثل قوله تعالى: «وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى»، «والشمس تجرى لمستقر لها»، «وسخر لكم الشمس والقمر دائبين»، «فلا أقسم برب المشارق والمغارب» ويقول ابن باز فى تفسيره: إن الجرى فى لغة العرب هو السير والإنتقال من مكان إلى مكان، فالشمس جارية أى سائرة متنقلة من منزله، وأما ما استمده من الأحاديث الشريفة لإثبات صحة فتواه، فهو أن النبى صلى الله عليه وسلم قال يوماً: أتدرون أين تذهب هذه الشمس؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: إن هذه تجرى حتى تنتهى إلى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة، فلا تزال كذلك، حتى يقال لها: ارتفعى وارجعى حيث جئت ... إلخ»، ثم يضيف الإمام

ابـن بـاز بـأن الشـمس سـقفها ليـس بكـروى، وإنمـا هـو قبـة ذات قوائـم تحملـه الملائكـة، ثـم يؤكـد الإمـام ابـن بـاز أنـه كان مـن جملـة النـاس، الذيـن شـاهدوا بعيونهـم وأبصارهـم سـير الشـمس وجريانهـا قبـل أن يذهـب بصـره، وهـو فـى سـن التاسـعة عشـر مـن عمـره.

كانـت هـذه عينـة مـن الأدلـة علـى جريـان الشـمس والقمـر، أمـا أدلـة ثبـوت الأرض، فقـد جمعهـا ابـن بـاز فـى أولاً الآيـات القرآنيـة مثـل: «جعـل لكـم الأرض قـرارا»، «جعـل لكـم الأرض مهـادا»، «الـذى جعـل لكـم الأرض فراشـا»، «وألقـى فـى الأرض رواسـى أن تميـد بكـم» ومـن تفسـيراته: أن كـون الأرض فراشـا مشـروط بكونهـا سـاكنة؛ لأنهـا لـو كانـت متحركـة لمـا كانـت فراشـا علـى الإطـلاق، وثانيـاً: الأحاديـث النبويـة الشـريفة ومنهـا الحديـث الـذى يقول:»لمـا خلـق الله الأرض جعلـت تميـد فخلـق الجبـال عليهـا فاسـتقرت ...» ومـن هنـا اسـتخلص ابـن بـاز أن الحديـث النبـوى، قـد أثبـت ثبـوت الأرض، وبذلـك اكتملـت ملامـح فتـوى تكفيـر جاليليـو وتلاميـذه، والتـى لـم يتنـازل عنهـا ابـن بـاز حتـى الآن ...

القضيـة العلميـة الأخـرى، التـى تعرضـت لخلافـات فقهيـة شـديدة، هـى قضيـة «أطفـال الأنابيـب» والإخصـاب الصناعى» وكان السـؤال الـذى أثـار القلـق هـو متـى تبـدأ الحيـاة؟، وقد تعـددت الإجابات علـى هـذا السـؤال الشـرعى العويـص، والذى إسـتغرق جدلاً لم يحسـم حتـى الآن، وكانـت أكبـر مظاهـر هـذا الجدل فـى مؤتمـرى «الإنجاب فـى ضـوء الإسـلام» و»بدايـة الحيـاة الانسـانية ونهايتهـا فـى المفهـوم الاسـلامى» واللذيـن عقـدا فـى الكويـت عامـى ١٩٨٣ و ١٩٨٥، وقـد

انقسم الفقهاء فى مناقشتهم لموضوع بداية الحياة إلى ثلاث فرق؛ الفريق الأول يرى أن الحياة تبدأ من لحظة الإخصاب، ويعتمد على قوله تعالى: «خلقنا الانسان من نطفة» وأنه إذا أثبت أن المرأة حامل يحفظ حق جنينها الشرعى فى الميراث، والفريق الثانى يرى أن الحياة تبدأ بعد نفخ الروح، وذلك استناداً إلى الحديث الشريف، الذى يقول: «إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما، ثم علقه مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكاً فيؤمر بأربع: أجله، ورزقه وشقى هو أم سعيد ثم ينفخ فيه الروح ... إلخ» ... ثم نصل إلى الفريق الثالث، الذى يحاول أن يوفق بين الرأيين، فيذهب إلى أن الحياة لا تبدأ منذ الاخصاب، وإنما لحظة «العلوق» وهو التصاق البويضه الملقحة بجدار الرحم، وتأتى أهمية الإجابة على هذا السؤال من أنه بتبنى رأى فريق وتفضيله على رأى الفريق الآخر، تتأثر أبحاث أطفال الأنابيب وتنقلب من النقيض إلى النقيض، فمثلاً إذا تبنينا الرأى الأول، وهو أن الحياة تبدأ منذ لحظة التقاء الحيوان المنوى بالبويضة، فإن هذا يعنى أنه لا يمكن إجراء تجارب على البويضة الملقحة، التى هى عمار أبحاث أطفال الأنابيب وتتوالى الأسئلة، التى بلا إجابة مثل ما الذى يمكن أن نفعله بالأجنة، التى تم تجميدها؟، وماذا نفعل فى البويضات الملقحة الفائضة؟ وهل يحق للزوجة، التى توفى زوجها أن يزرع فى رحمها بويضتها الملقحة بمنى زوجها المتوفى؟ وهذه المسألة الأخيرة بالذات رفضها الشرع، لأنه يرى أنه بمجرد وفاة الزوج تنتهى العلاقة الزوجية، وبالتالى يعتبر الزوج المتوفى أجنبيا،

ومثل هذه القضية عشرات القضايا المماثلة فى صعوبتها، والتى أثارتها قضية أطفال الأنابيب، التى جرّت الفقهاء إلى سباق محموم، اتضح أنه فخ ملىء بآلاف الألغاز والمتاهات..

إذا كان سؤال؛ متى تبدأ الحياة هو الذى أثار الجدل واللغط فى قضية أطفال الأنابيب، فإن سؤال متى تنتهى الحياة أو ما هو الموت الشرعى؟ هو السؤال، الذى عطل قضية نقل الأعضاء وزرعها من حديثى الوفاة حتى هذه اللحظة؟! أما ما هى الفتاوى التى أجهضت قانون زرع الأعضاء، فأكثرها شهرة وتأثيرًا فتوى الشيخ الشعراوى بعدم جواز نقل الأعضاء الآدمية من إنسان لإنسان، على اعتبار أن الأعضاء ملك لله، ولا يجوز للإنسان أن يتصرف فيما لا يملكه، أما الفتوى الرسمية، التى أعطت ثقلا لفتوى الشعراوى، فقد كانت فتوى شيخ الأزهر السابق، الشيخ جاد الحق على جاد الحق، والتى نشرتها جريدة اللواء الاسلامى فى ٦ مايو ١٩٩٣، والتى تقول:»الموت علامته سكوت الأعضاء وهمودها، ويؤكد هذا أن الله أمر عباده ألا يأكلوا من الذبيحة أو يقطعوا شيئا من أعضائها أو يتعجلوا بالسلخ، قبل أن تموت بالذبح، فإذا كان الله قد أمر بعدم قطع شىء من البهيمة قبل أن تموت وتبرد حركتها، فأولى بذلك الإنسان، الذى كرمه الله حيا وميتا، إن الموت الذى تنبنى عليه الأحكام الشرعية، لا يتحقق إلا بمفارقة الروح للجسد، وبهذه المفارقة تتوقف جميع أجهزة الجسد وتنتهى مظاهر الحياة من تنفس ونبض وتماسك عضلات وغير ذلك، وانتهى فضيلته إلى

أنه «يعتبر قتلا لهذه النفس قطع أى جزء من جسد المريض المحتضر، قبل التيقن من موته بتلك العلامات الشرعية».

مما هو معروف أنه مع هذه العلامات الشرعية، التى ذكرها شيخ الأزهر السابق، ستفشل أى عملية لزرع الأعضاء حتما؛ لأنها تتطلب أن يكون القلب نابضا فى معظم هذه العمليات، وما زالت هذه الفتاوى هى صاحبة الصوت الأعلى برغم الفتاوى المبيحة، مثل: فتوى شيخ الأزهر الحالى والمفتى السابق د. سيد طنطاوى، وأيضا فتوى الشيخ يوسف القرضاوى..

القضية الأخرى، وهى قضية مرضى «الترانسكس» أو الخنثى النفسية، والتى نعرض فيه للأدلة الشرعية، التى اعتمد عليها الفقهاء فى منع إجراء عمليات تحويل الجنس، وأهم هذه الأدلة هو الحديث الشريف، والذى رواه البخارى عن ابن عباس قال: «لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء».. وحديث آخر هو: «لعن النبى صلى الله عليه وسلم المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال» وحديث ثالث يقول:»قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجوا المخنثين من بيوتكم» ... وقد امتنع جراحو التجميل، وجرمت نقابة الأطباء هذه العمليات بناء على ما سبق استنتاجه من الأحاديث، بعد أن كانت مثل هذه العمليات تجرى فى مصر وبمنتهى السهولة، وبدون أى قلق أو ضجة او إدانة وتجريم؛ لأن المسألة طبيا هى جسد يعلن عن نفسه بأنه ذكر ومخ يلح عليه أنت أنثى، وهنا لا حل بعد فشل العلاج النفسى الكامل إلا الجراحة.

أما أكثر القضايا العلمية إثارة وسخونة وجدلاً، فهى قضية الختان، والتى ازدادت حدة المناقشات حولها فى الآونة الأخيرة، وخاصة بعد فيلم السى. إن. إن الشهير، والذى تحركت وزارة الصحة بعده، وبناء على اضطراب اجتماعى وحيرة اكتنفت جميع الطبقات فطلبت رسمياً من فضيلة المفتى السابق د. طنطاوى إصدار فتوى رسمية لحسم قضية الختان، حتى تتمكن الوزارة من إعداد مشروع قانون ينظم أو يمنع هذه العملية، بما لا يتعارض مع الشريعة أعلن فضيلته هذه الفتوى، التى قال فيها:»عن ختان الإناث لم يرد بشأنه حديث، يحتج به وإنما وردت آثار، حكم المحققون عليها بالضعف ومنها حديث «الختان سنة للرجال مكرمة للنساء»، وحديث لا تنهكى فإن ذلك أحظى للمرأة وأحب للرجل» وقد ذكر هذه الاحاديث جميعها الإمام الشوكانى فى كتابه «نيل الأوطار»، وحكم عليها بالضعف، وذكر قول الامام ابن المندر: «ليس فى الختان خبر يرجع إليه ولا سنة تتبع، وهكذا فإن جميع أحاديث ختان المرأة ضعيفة معلولة مخدوشة، لا يصح الاحتجاج بها»، ثم يضيف فضيلته: إن من الأدلة على أنه عادة، وليس سنة أن معظم الدول الإسلامية، التى تزخر بالعلماء والفقهاء، لا تلتزم بالختان، ولكن هل انتهت المسألة عند هذا الحد؟، الواقع أن شيخ الأزهر السابق جاد الحق، لم يدع الفرصة تمر وخرج على الجميع بفتوى مفاجئة، يقرر فيها أن ختان الإناث من شعائر الإسلام، وأن تركه يوجب القتال، وأن عدم ختان البنات يؤدى بهن إلى الانحراف، وأنه لا يجوز ترك الفصل فى القضية

للأطباء؛ لأن الطب يقوم على العلم والعلم متغير، وأدت هذه الفتوى المفزعة بالدكتور على عبد الفتاح وزير الصحة السابق إلى التراجع عن القرار، الذى كان يعد له بمنع ختان الإناث تمامًا، حتى فى المستشفيات، إلى أن تولى الدكتور سلام وزارة الصحة، وأصدر قراره الحاسم بالمنع، والذى جعل بعض الأطباء وعلى رأسهم د. منير فوزى، يرفعون قضية يطالبون فيها بمنع هذا القرار، ودفع أيضا بعضو فى مجلس الشعب لأن ينادى بإصدار قانون يبيح ختان الإناث، وكان الطرفان الطبيب وعضو مجلس الشعب مستندين إلى فتوى شيخ الأزهر السابقة.

هكذا تتداخل المسائل وتتشابك القضايا، وتتعقد الاستنتاجات والقرارات، وللأسف فإن هذا التداخل والتعقد والتشابك والاضطراب يؤذى العلم والدين على السواء، فيقف العلم مكتوف الأيدى مكبلاً مشلولاً، تنقصه الجرأة والمبادرة، يعانى من الخوف ومن سطوة العادات والتقاليد والأحكام الأخلاقية، وفى المقابل يوضع الدين فى مكان غير مكانه وينزل من عليائه وقدسيته ليطالب بالتحكيم فى قضايا علمية يضار منها بسطاء الناس، والذين للأسف يغضبون من الأحكام الفقهية ويعاملونها على أنها هى الدين، فيتهمونه بما ليس فيه، وبما ليس مطلوباً منه، وبهذا المنطق يحدث التصادم بدلاً من التكامل، ويحدث الشقاق بدلا من الوفاق، والخاسر فى النهاية هو الانسان، الذى هو فى الحقيقة الهدف والغاية للدين والعلم.

بعد أن عرفنا كيف تنعكس ظلال الخلافات الفقهية على مسار العلم؟، وكيف أن العلم له مجال ومنهج، والدين له مجال ومنهج آخر؟، وأن وصف عالم بيولوجي أو فيزيائي أو كيميائي متدين، ليست مستحيلة مثل وصف أبيض أسود أو طويل قصير، فالتدين لا يتناقض، على الإطلاق، مع المنهج والتفكير العلمي، ولكن ما هو التفكير العلمي؟، هذا ما سنتعرف عليه لاحقاً.

obeikandl.com